

- ٥٦ -

وهذه التأويلات المختلفة لفكرة واحدة تكشف لنا عن حقائق هامة في الدراسات المقارنة ، أن الأفكار كالبذور التي تستنبت في بيئات متنوعة ، فتتنوع طعومها وألوانها ، تبعاً لما يطرأ عليها من أنواع التلقيح والغذاء في بيئاتها الجديدة ، وقد تختلف الإفادة منها تبعاً لاستخدامها في هذه البيئات ، وأن التأثير لا يمحور أصالة الناقد ، كما أنه لا يمحور أصالة الشاعر أو الكاتب . فالأفكار هذء عقى ، والعقول الناضجة تبحث عن غذائها أينما وجدته . وإنما تتفاوت هذه العقول في مدى إفادتها من الغذاء أصيلاً كان في البيت أو مجلوباً .

فن المعلوم أن أرسطو كان قد عقد الصلة بين الشعر والفنون الجميلة توطئة لعرض نظرية المحاكاة التي لسننا بصدد شرحها هنا . وتلك النظرية تنطبق على الشعر الموضوعي ، شعر المسرحيات والملاحم . وقد صارت بعد ذلك من دواحي نهضة الأدب الموضوعي من مسرحيات وقصص أصبحت تكتب في العصر الحديث نثراً لا شعراً في غالبيتها العظمى .

ولم تنهض نظرية المحاكاة بالشعر الغنائي . وهذا الشعر الغنائي هو ما تحدثت عنه نقاد العرب الذين رأينا مدى استيثارهم للصلة بين الشعر والفنون ، وكان أكثرهم إفادة منه هو عبد القاهر الجرجاني في فهمه قيمة الصياغة والصورة الأدبية .

وقد نهض الشعر الغنائي منذ الرومانتيكيين في أوروبا ، وكانت الصورة مدار الإجابة فيه لدى الشعراء والنقاد . وكثيراً ما عقد نقاد المذاهب الشعرية منذ الرومانتيكيين والبرناسيين والرمزيين - صلات مختلفة بين الشعر والفنون الجميلة التشكيلية من رسم ونحت وموسيقى .

وقد أفادوا في ذلك أنواعاً من الافادة نهضت بالشعر الغنائي . ولقد فهموا الصورة في ضوء وحدة العمل الشعري ، وكان تراسل الفنون كتراسل الحواس ، أقوى دعائم نظرياتهم التي أصبحت مرئياً عاماً للآداب الناهضة كلها ، ومنها أدبنا الحديث